الحليّين[1] وغيرهم ممن يعسر تعدادهم ، ويفوت الحصر جمعهم وآحادهم ، وكلّ تلك الفجائع والفظائع وإن كانت في غاية الفظاعة والشناعة ومن موجبات الوحشة والدهشة ولكن يمكن للعقل ان يجوزها وللأذهان والوجدان أن يستسيغها ، وللأفكار أن تقيلها وتهضمها ، ولا سيّما وأنّ القوم قد اقترفوا في قضيّة الخلافة وغصب المنصب الإلهي من أهله ما يعد أعظم وأفظع .

ولكن قضيّة ضرب الزهراء ولطم خدّها ممّا لا يكاد يقبله وجداني ويتقبّله عقلي ، ويقتنع به مشاعري ، لا لأن القوم يتحرّجون ويتورّعون من هذه الجرأة العظيمة ، بل لأنّ السجايا العربيّة والتقاليد الجاهليّة الّتي ركزتها الشريعة الإسلامية وزادتها تأييداً وتأكيداً تمنع بشدّة أن تضرب المرأة أو تمدّ إليها يد سوء ، حتى أنّ في بعض كلمات أمير المؤمنين (ع) ما معناه : أنّ الرجل كان في الجاهلية إذا ضرب المرأة يبقى ذلك عاراً في أعقابه ونسله .

ويدلّك على تركّز هذه الركيزة بل الغريزة في المسلمين وأنّها لم تفلت من أيديهم وإن فلت منهم الإسلام : أنّ إبن زياد وهو من تعرف في الجرأة على الله وإنتهاك حرماته لمّا فضحته الحوراء زينب (ع) وأفلجته وصيّرته أحقر من نملة ، وأقذر من قملة وقالت له ثكلتك أمّك يا إبن مرجانة . فاستشاط غضباً من ذكر أمّه الّتي يعرف أنّها من ذوات الأعلام ، وهمّ أن يضربها ، فقال له عمرو بن حريث وهو من رؤوس الخوارج وضروسها إنّها إمرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها ، فإذا كان إبن مرجانة إمتنع من ضرب العقيلة خوف

= ـ والحق وما في الحق مغضبة ـ إنه لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي إلا بالتقوى كما صدع به صاحب الرسالة المقدسة (ص) وقال تعالى : إنما أكرمكم عند الله أتقاكم . هذا هو الميزان الحقيقي في الإسلام وأما هذه التعصبات القومية والعصبيات الممقوتة التي صارت من أمراضنا الإجتماعية بإيعاز وبعث من أرباب السياسة الغاشمة وأذناب الإستعمار فلا تجدي إلا تفرقة كلمة المسلمين ومحق إتحادهم الصحيح ومحوه .

وعلى أي نحو كان ـ من كون الشيخ اليعقوبي تبريزي الأصل أولاً ـ فهو خطيب شهير عربي في جامعة العلم النجف الأشرف وشاعر كبير أديب مفلق مجيد وكتابه البابليات من الكتب الممتعة وفي أوله تصدير بقلم شيخنا الإمام الراحل زاد عليه بهجة وجمالاً باهراً .

(١) أنظر إلى تراجمهم في البابليات للخطيب المصقع الشيخ محمد علي اليعقوبي .

almawaddah.be